مغفور؛ لهم؛ بسبب هٰذه الحسنة العظيمة الكبيرة التي جعلها الله تعالى على أيديهم.

* وفي هٰذا الحديث دليل على أن ما يقع منهم من الكبائر مهما عظم؛ فهو مغفور لهم.

* وفيه بشارة بأنهم لن يموتوا على الكفر؛ لأنهم مغفور لهم، وهٰذا يقتضي أحد أمرين:

ـ إما أنهم لا يمكن أن يكفروا بعد ذٰلك.

ـ وإما أنهم إن قدر أن أحدهم كفر؛ فسيوفق للتوبة والرجوع إلى الإسلام.

وأيّاً كان؛ ففيه بشارة عظيمة لهم، ولم نعلم أن أحداً منهم كفر بعد ذٰلك.

* * *

* قوله: «**وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة؛ كما أخبر به النبي ﷺ[1]، بل لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكانوا**

= حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه.

(١) لما رواه مسلم (٢٤٩٦)، عن جابر بن عبد الله يقول: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها»، ورواه أبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٥٩) بنحوه.

أكثر من ألف وأربع مئة»[1].

* أصحاب الشجرة هم أصحاب بيعة الرضوان.

* وسبب هٰذه البيعة أن النبي ﷺ خرج من المدينة إلى مكة يريد العمرة، ومعه أصحابه والهدي، وكانوا نحو ألف وأربع مئة رجل، لا يريدون إلا العمرة، فلما بلغوا الحديبية، وهي مكان قرب مكة، في طريق جدة الآن، بعضها من الحل وبعضها من الحرم، وعلم بذٰلك المشركون؛ منعوا رسول الله ﷺ وأصحابه؛ لأنهم يزعمون أنهم أهل البيت وحماة البيت، ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]، وجرت بينهم وبينهم مفاوضات.

وأرى الله تعالى من آياته في هٰذه الغزوة ما يدل على أن الأولى تنازل الرسول ﷺ وأصحابه لما يترتب على ذٰلك من الخير والمصلحة؛ فإن ناقة الرسول عليه الصلاة والسلام بركت وأبت أن تسير، حتى قالوا: «خلأت القصواء»؛ يعني: حرنت وأبت المسير. فقال النبي ﷺ مدافعاً عنها: «والله؛ ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخُلُق، ولٰكن حبسها حابس الفيل». ثم قال: «والذي نفسي بيده؛ لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله؛ إلا أعطيتهم إياها»[2].

---

(١) رواه البخاري (٤١٥٤) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢) عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم. قال الحافظ في «الفتح» (٥/٣٣٣): وهذه الرواية بالنسبة إلى مروان مرسلة، لأنه لا =

جرى التفاوض، وأرسل النبي ﷺ عثمان بن عفان؛ لأن له رهطاً بمكة يحمونه؛ أرسله إلى أهل مكة؛ يدعوهم إلى الإسلام، ويخبرهم أن النبي ﷺ إنما جاء معتمراً معظماً للبيت، فشاع الخبر بأن عثمان قد قتل، وكبُر ذٰلك على المسلمين، فدعا النبي ﷺ إلى البيعة؛ يبايع أصحابه على أن يقاتلوا أهل مكة الذين قتلوا رسول رسول الله ﷺ، وكانت الرسل لا تقتل، فبايع الصحابة رضي الله عنهم النبي ﷺ على أن يقاتلوا ولا يفروا إلى الموت.

وكان النبي ﷺ تحت شجرة يبايع الناس؛ يمدُّ يده فيبايعونه على هٰذه البيعة المباركة التي قال الله عنها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وكان عثمان رضي الله عنه غائباً، فبايع النبي ﷺ بيده عن يد عثمان، وقال بيده اليمنى: «هٰذه يد عثمان».

ثم تبين أن عثمان لم يقتل، وصارت الرسل تأتي وتروح بين رسول الله ﷺ وقريش، حتى انتهى الأمر على الصلح الذي صار فتحاً مبيناً للرسول عليه الصلاة والسلام.

* هٰؤلاء الذين بايعوا قال الله عنهم: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ١٨ ـ ١٩].

= صحبة له، وأما المسور فهي بالنسبة إليه أيضاً مرسلة، لأنه لم يحضر القصة... وقد سمع المسور ومروان من جماعة من الصحابة شهدوا هذه القصة.

* وكان من جملة المبايعين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي.

فوصفهم الله تعالى بالإيمان، وهٰذه شهادة من الله عز وجل بأن كل من بايع تحت الشجرة؛ فهو مؤمن مرضي عنه، والنبي عليه الصلاة والسلام قال: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة»؛[1] فالرضى ثابت بالقرآن، وانتفاء دخول النار ثبت بالسنة.

* وقول النبي ﷺ: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة»؛ قد يقول قائل: كيف نجمع بينه وبين قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]؟

فالجمع من أحد وجهين:

الأول: أن يقال: إن المفسرين اختلفوا في المراد بالورود، فقال بعضهم: هو المرور على الصراط؛ لأن هٰذا نوع ورود بلا شك؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: ٢٣]، ومعلوم أنه لم ينزل وسط الماء، بل كان حوله وقريباً منه، وبناء على هٰذا؛ لا إشكال ولا تعارض أصلاً.

والوجه الثاني: أن من المفسرين من يقول: المراد بالورود الدخول، وأنه ما من إنسان إلا ويدخل النار، وبناء على هٰذا القول؛ فيحمل قوله: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة»: لا يدخلها دخول عذاب وإهانة، وإنما يدخلها تنفيذاً للقسم: ﴿وَإِن

---

(١) تقدم تخريجه (٢/ ٢٦٠).

﴿مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، أو يقال: إن هٰذا من باب العام المخصوص بأهل بيعة الرضوان.

* وقوله: «**الشجرة**»: الشجرة هٰذه شجرة سدر، وقيل: شجرة سمر، ولا طائل تحت هٰذا الخلاف، كانت ذات ظل، فجلس النبي ﷺ تحتها يبايع الناس، وكانت موجودة في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وعهد أبي بكر رضي الله عنه وأول خلافة عمر، فلما قيل له: إن الناس يختلفون إليها ـ أي: يأتونها ـ يصلون عندها؛ أمر رضي الله عنه بقطعها، فقطعت.

قال في «الفتح»[1]: «وجدته عند ابن سعد بإسناد صحيح، لٰكن في «صحيح البخاري»[2] عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: رجعنا من العام المقبل ـ يعني: بعد صلح الحديبية ـ فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها، كانت رحمة من الله. وهٰكذا قال المسيب والد سعيد: فلما خرجنا من العام المقبل؛ نسيناها، فلم نقدر عليها».

وهٰذا لا ينافي ما ذكره ابن حجر عن ابن سعد؛ لأن نسيانها لا يستلزم عدمها ولا عدم تذكرها بعد. والله أعلم.

وهٰذه من حسنات عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ لأننا نظن

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٤٤٨).

(٢) رواه: البخاري (٤١٦٢ و ٤١٦٣) (٢٩٥٨) عن ابن عمر رضي الله عنه، ورواه أيضاً (٤١٦٢ و ٤١٦٣) عن والد سعيد بن المسيب.

أن هٰذه الشجرة لو كانت باقية إلى الآن؛ لعبدت من دون الله.

* * *

* قوله: «**ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ؛ كالعشرة، وثابت بن قيس بن شماس، وغيرهم من الصحابة**».

* «**يشهدون**»؛ أي: أهل السنة والجماعة.

* والشهادة بالجنة نوعان: شهادة معلقة بوصف، وشهادة معلقة بالشخص.

ـ أما المعلقة بالوصف؛ فأن نشهد لكل مؤمن أنه في الجنة، وكل متق أنه في الجنة؛ بدون تعيين شخص أو أشخاص.

وهٰذه شهادة عامة، يجب علينا أن نشهد بها؛ لأن الله تعالى أخبر به، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ * خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [لقمان: ٨ ـ ٩]، وقال: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

ـ وأما الشهادة المعلقة بشخص معين؛ فأن نشهد لفلان أو لعدد معين أنهم في الجنة.

وهٰذه شهادة خاصة؛ فنشهد لمن شهد له الرسول ﷺ؛ سواء شهد لشخص معين واحد أو لأشخاص معينين.

* مثال ذٰلك ما ذكره المؤلف بقوله: «**كالعشرة**»؛ يعني بهم: العشرة المبشرين بالجنة؛ لقبوا بهٰذا الاسم لأن النبي ﷺ جمعهم

في حديث واحد، وهم: الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسعيد بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمٰن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وأبو عبيدة عامر ابن الجراح، وانظر تراجمهم في المطولات.

وقد جمع الستة الزائدون عن الخلفاء الأربعة في بيت واحد؛ فاحفظه:

سَعيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةٌ وَعامِرُ فِهْرٍ وَالزُّبَيْرُ المُمَدَّحُ

هٰؤلاء بشرهم النبي ﷺ في نسق واحد، فقال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة...»[1]، ولهٰذا لقبوا بهٰذا اللقب؛ فيجب أن نشهد أنهم في الجنة لشهادة النبي ﷺ بذٰلك.

* قوله: «**وثابت بن قيس بن شماس**»: ثابت بن قيس رضي الله عنه أحد خطباء النبي ﷺ، كان جهوري الصوت، فلما نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]؛ خاف أن يكون حبط عمله وهو لا يشعر، فاختفى في بيته، ففقده النبي عليه الصلاة والسلام، فبعث إليه رجلاً يسأله عن اختفائه فقال: إن الله أنزل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ

---

(١) رواه أحمد (١/ ١٨٧ و ١٨٨ و ١٨٩)، وأبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٤٨)، وابن ماجه (١٣٤)، وابن حبان في «صحيحه» (١٠/ ٦٩٩٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٥٠)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٨٧٥).

أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، وأنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي ﷺ حبط عملي، أنا من أهل النار!! فأتى الرجل إلى النبي ﷺ، فأخبره بما قال ثابت، فقال النبي ﷺ: «اذهب إليه؛ فقل له إنك لست من أهل النار، ولٰكنك من أهل الجنة»[1]؛ فبشره النبي ﷺ بالجنة.

* قوله: «**وغيرهم من الصحابة**»: مثل أمهات المؤمنين؛ لأنهن في درجة الرسول ﷺ، ومنهم: بلال، وعبد الله بن سلام، وعكاشة بن محصن، وسعد بن معاذ؛ رضي الله عنهم[2].

* * *

---

(١) رواه: البخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١١٩)؛ عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) ــ أما بلال؛ ففي حديث جابر عند مسلم (٢٤٥٧)؛ أن رسول الله ﷺ؛ قال: أريت الجنة، فرأيت امرأة أبي طلحة، ثم سمعت خشخشة أمامي؛ فإذا بلال.

ــ وأما عبد الله بن سلام؛ ففي حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عند البخاري (١٩٨٢) ومسلم (٢٤٨١)؛ قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الأرض: إنه من أهل الجنة؛ إلا لعبد الله بن سلام.

ــ وأما عكاشة بن محصن؛ فقد دعا له النبي ﷺ بأن يكون من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وذٰلك في حديث ابن عباس عند البخاري (٦٥٤١) ومسلم (٢٢٠).

ــ وأما سعد بن معاذ؛ ففي حديث البراء عند البخاري (٣٨٠٢) ومسلم (٢٤٦٨)؛ قال: أهديت لرسول الله ﷺ حلة حرير، فجعل أصحابه يلمسونها ويعجبون من لينها، فقال: أتعجبون من لين هٰذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هٰذه وألين.

* قوله: «**ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره؛ من أن خير هٰذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر، ثم عمر**».

* التواتر: خبر يفيد العلم اليقيني، وهو الذي نقله طائفة لا يمكن تواطؤهم على الكذب.

* ففي «صحيح البخاري»[1] وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ؛ فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان.

* وفي «صحيح البخاري»[2] أيضاً أن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. وخشيت أن يقول: عثمان؛ قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.

فإذا كان علي رضي الله عنه يقول وهو في زمن خلافته: إن خير هٰذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر؛ فقد اندحضت حجة الرافضة الذين فضلوه عليهما.

* قوله: «**وغيره**»؛ يعني: غير علي من الصحابة والتابعين.

* وهٰذا متفق عليه بين الأئمة.

ـ قال الإمام مالك: ما رأيت أحداً يشك في تقديمهما.

---

(١) رواه البخاري (٣٦٥٥).

(٢) رواه البخاري (٣٦٧١).

ـ وقال الشافعي: لم يختلف الصحابة والتابعون في تقديم أبي بكر وعمر.

ومن خرج عن هٰذا الإجماع؛ فقد اتبع غير سبيل المؤمنين.

* قوله: «**ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي؛ رضي الله عنهم؛ كما دلت عليه الآثار**».

* «**يثلِّثون**»؛ يعني: أهل السنة؛ أي: يجعلون عثمان هو الثالث.

* «**ويربِّعون بعلي**»؛ أي: يجعلون عليّاً هو الرابع.

* وعلى هٰذا؛ فأفضل هٰذه الأمة هٰؤلاء الأربعة: أبو بكر، ثم عمر، وهٰذا بالإجماع، ثم عثمان، ثم علي.

* * *

* ثم استدل المؤلف لهٰذا الترتيب بدليلين:

الأول: قوله: «**كما دلت عليه الآثار**»: وقد سبق ذكر شيء منها.

والثاني: قوله: «**وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة**»:

فصار في تقديم عثمان على علي رضي الله عنهما آثار نقلية، وفيه أيضاً دليل عقلي، وهو إجماع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة؛ فإن إجماعهم على ذٰلك يستلزم أن عثمان أفضل من علي،

وهو كذٰلك؛ لأن حكمة الله عز وجل تأبى أن يولِّي على خير القرون رجلاً وفيه من هو أفضل منه؛ كما جاء في الأثر: «كما تكونون يولَّى عليكم»؛ فخير القرون لا يولِّي الله عليهم إلا من هو خيرهم.

* * *

* قوله: «**مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما بعد اتفاقهما على تقديم أبي بكر وعمر؛ أيهما أفضل؟ فقدم قوم عثمان، وسكتوا، أو ربعوا بعلي**»:

فيقولون: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ويسكتون، أو يقولون: ثم علي.

* قال المؤلف: «**وقدم قوم عليّاً**»؛ فقالوا: أبو بكر، ثم عمر، ثم علي، ثم عثمان. وهٰذا رأي من آراء أهل السنة.

* قال المؤلف: «**وقوم توقفوا**»؛ فقالوا: أبو بكر، ثم عمر. وتوقفوا أيهما أفضل: عثمان أو علي؟ وهٰذا غير الرأي الأول.

* فالآراء أربعة:

ـ الرأي المشهور: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي.

ـ الرأي الثاني: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم السكوت.

ـ الرأي الثالث: أبو بكر، ثم عمر، ثم علي، ثم عثمان.

ـ الرأي الرابع: أبو بكر، ثم عمر، ثم نتوقف أيهما أفضل: عثمان أو علي؛ فهم يقولون: لا نقول: عثمان أفضل، ولا علي أفضل، لٰكن لا نرى أحداً يتقدم على عثمان وعلي في الفضيلة بعد أبي بكر وعمر.

* قال المؤلف: «**لٰكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم علي**»:

هذا الذي استقر عليه أمر أهل السنة؛ فقالوا: أفضل هٰذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي؛ على ترتيبهم في الخلافة. وهو الصواب؛ كما سبق دليله.

* * *

* قوله: «**وإن كانت هٰذه المسألة ـ مسألة عثمان وعلي ـ ليست من الأصول التي يُضَلَّل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة**».

* يعني: المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما ليست من أصول أهل السنة التي يضلل فيها المخالف؛ فمن قال: إن عليّاً أفضل من عثمان؛ فلا نقول: إنه ضال، بل نقول: هٰذا رأي من آراء أهل السنة، ولا نقول فيه شيئاً.

* قوله: «**لكن التي يُضَلَّل فيها مسألة الخلافة**»: فيجب أن نقول: الخليفة بعد نبينا في أمته أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي. ومن قال: إن الخلافة لعلي دون هٰؤلاء الثلاثة؛ فهو ضال،

ومن قال: إنها لعلي بعد أبي بكر وعمر؛ فهو ضال؛ لأنه مخالف لإجماع الصحابة رضي الله عنهم.

* ولهٰذا قال المؤلف: «**وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي**».

وهٰذا ما أجمع عليه أهل السنة في مسألة الخلافة.

* قوله: «**ومن طعن في خلافة أحد من هٰؤلاء؛ فهو أضل من حمار أهله**».

* الذي يطعن في خلافة أحد من هٰؤلاء، ويقول: إنه لا يستحق الخلافة! أو: إنه أحق ممن سبقه! فهو أضل من حمار أهله.

وعبر المؤلف بهٰذا التعبير؛ لأنه تعبير الإمام أحمد رحمه الله، ولا شك أنه أضل من حمار أهله، وإنما ذكر الحمار؛ لأنه أبلد الحيوانات على الإطلاق؛ فهو أقل الحيوانات فهماً؛ فالطعن في خلافة أحد من هٰؤلاء أو في ترتيبه طعنٌ في الصحابة جميعاً.

* فيجب علينا أن نعتقد بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وأنهم في أحقية الخلافة على هٰذا الترتيب، حتى لا نقول: إن هناك ظلماً في الخلافة؛ كما ادعته الرافضة حين زعموا أن أبا بكر وعمر وعثمان والصحابة كلهم ظلمة؛ لأنهم ظلموا علي بن أبي طالب؛ حيث اغتصبوا الخلافة منه.

* أما من بعدهم؛ فإننا لا نستطيع أن نقول: إن كل خليفة استخلفه الله على الناس؛ فهو أحق بالخلافة من غيره؛ لأن من بعدهم ليسوا في خير القرون، بل حصل فيهم من الظلم والانحراف والفسوق ما استحقوا به أن يولى عليهم من ليس أحق بالخلافة منهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

* واعلم أن الترتيب في الأفضلية على ما سبق لا يعني أن من فضل غيره؛ فإنه يفضله في كل شيء، بل قد يكون للمفضول فضيلة لم يشاركه فيها أحد، وتميز أحد هٰؤلاء الأربعة أو غيرهم بميزة يفضل بها غيره لا يدل على الأفضلية المطلقة؛ فيجب التفريق بين الإطلاق والتقييد.

* * *

* قوله: «وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسولِ اللهِ ﷺ وَيَتَوَلَّوْنَهُم».

* أي: ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون آل بيت رسول الله ﷺ؛ يحبونهم لأمرين: للإيمان، وللقرابة من رسول الله ﷺ، ولا يكرهونهم أبداً.

ولٰكن لا يقولون كما قال الرافضة: كل من أحب أبا بكر وعمر؛ فقد أبغض عليّاً!! وعلى هٰذا؛ فلا يمكن أن نحب عليّاً حتى نبغض أبا بكر وعمر!! وكأن أبا بكر وعمر أعداء لعلي بن أبي طالب!! مع أنه قد تواتر النقل عن علي رضي الله عنه أنه كان يثني عليهما على المنبر.

فنحن نقول: إننا نشهد الله على محبة آل بيت الرسول ﷺ وقرابته؛ نحبهم لمحبة الله ورسوله.

ـ ومن أهل بيته أزواجه بنص القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا * يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا * ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا * يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ۚ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨ ـ ٣٣]؛ فأهل البيت هنا يدخل فيها أزواج الرسول عليه الصلاة والسلام بلا ريب.

ـ وكذلك يدخل فيه قرابته؛ فاطمة وعلي والحسن والحسين وغيرهم كالعباس بن عبد المطلب وأبنائه.

فنحن نحبهم لقرابتهم من رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولإيمانهم بالله.

فإن كفروا؛ فإننا لا نحبهم، ولو كانوا من أقارب الرسول عليه الصلاة والسلام؛ فأبو لهب عم الرسول عليه الصلاة والسلام لا يجوز أن نحبه بأي حال من الأحوال، بل يجب أن نكرهه لكفره

ولإيذائه النبي ﷺ، وكذلك أبو طالب؛ يجب علينا أن نكرهه لكفره، لكن نحب أفعاله التي أسداها إلى الرسول عليه الصلاة والسلام من الحماية والذب عنه.

* قال المؤلف: «**ويتولَّونهم**»؛ أي: يجعلونهم من أوليائهم، والولي: يطلق على عدة معان؛ يطلق على الصديق، والقريب، والمتولِّي للأمر، وغير ذلك من الموالاة والنصرة. وهنا يشمل النصرة والصداقة والمحبة.

* قوله: «**ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ؛ حيث قال يوم غدير خم: «أذكركم الله في أهل بيتي»**[1]».

* «**وصية الرسول ﷺ**»؛ أي: عهده الذي عهد به إلى أمته.

* و«**يوم غدير خم**»: هو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة. وهذا الغدير ينسب إلى رجل يسمى (خم)، وهو في الطريق الذي بين مكة والمدينة، قريب من الجحفة، نزل الرسول عليه الصلاة والسلام فيه منزلاً في رجوعه من حجة الوداع، وخطب الناس، وقال: «أذكركم الله في أهل بيتي»؛ ثلاثاً؛ يعني: اذكروا الله؛ اذكروا خوفه وانتقامه إن أضعتم حق آل البيت، واذكروا رحمته وثوابه إن قمتم في حقهم.

* قوله: «**وقال أيضاً للعباس عمه وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم؛ فقال: «والذي نفسي بيده؛ لا يؤمنون حتى**

---

(١) رواه مسلم (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه.

يحبوكم لله ولقرابتي»[1]».

* «**أيضاً**»: مصدر آض يئيض؛ أي: رجع، وهو مصدر لفعل محذوف، والمعنى: عوداً على ما سبق.

* «**يجفو**»: يترفع ويكره.

* «**هاشم**»: هو جد أبي الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

* فأقسم ﷺ أنهم لا يؤمنون، أي: لا يتم إيمانهم؛ حتى يحبوكم لله، وهٰذه المحبة يشاركهم فيها غيرهم من المؤمنين؛ لأن الواجب على كل إنسان أن يحب كل مؤمن لله.

* لٰكن قال: «**ولقرابتي**»: فهٰذا حب زائد على المحبة لله، ويختص به آل البيت قرابة النبي عليه الصلاة والسلام.

* وفي قول العباس: «**إن بعض قريش يجفو بني هاشم**»: دليل على أن جفاء آل البيت كان موجوداً منذ حياة النبي ﷺ، وذٰلك لأن الحسد من طبائع البشر؛ إلا من عصمه الله عز وجل،

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/٢٠٧)، وفي «فضائل الصحابة» (١٧٥٧)، عن العباس بلفظ: «والله لا يدخل قلب امرىء إيمان، حتى يحبكم لله ولقرابتي» عن يزيد بن أبي زياد، وهو ضعيف.
ورواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٧٥٦)، بلفظ: «لن ينالوا خيراً حتى يحبوكم لله ولقرابتي»، وإسناده ضعيف لإرساله. ورواه متصلاً طراد الزينبي في «أماليه» (٨٨ب)، كما نقله محقق «فضائل الصحابة» وصي الله عباس (١٧٥٦).

فكانوا يحسدون آل بيت الرسول عليه الصلاة والسلام على ما منَّ الله به عليهم من قرابة النبي ﷺ، فيجفونهم ولا يقومون بحقهم.

* قوله: «**وقال: إن الله اصطفى بني إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»[1].

وهٰذا دليل على أن بني هاشم مصطفون عند الله، مختارون من خلقه.

* فعقيدة أهل السنة والجماعة بالنسبة لآل البيت: أنهم يحبونهم، ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية الرسول ﷺ في التذكير بهم، ولا ينزلونهم فوق منزلتهم، بل يتبرؤون ممن يغلون فيهم، حتى يوصلوهم إلى حد الألوهية؛ كما فعل عبد الله بن سبأ في علي بن أبي طالب حين قال له: أنت الله! والقصة مشهورة.

* و«**إسماعيل**»: هو ابن إبراهيم الخليل، وهو الذي أمر الله إبراهيم بذبحه، وقصته في سورة الصافات.

* و«**كنانة**»: هو الأب الرابع عشر لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

* و«**قريش**»: هو الأب الحادي عشر لرسول الله ﷺ، وهو فهر بن مالك، وقيل: الأب الثالث عشر، وهو النضر بن كنانة.

---

(١) رواه مسلم (٢٢٧٦)، والترمذي (٣٦٠٩ و ٣٦١٢)؛ من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

* و«**هاشم**»: هو الأب الثالث لرسول الله ﷺ.

* * *

* قوله: «**ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين**»:

* قوله: «**أمهات المؤمنين**»: هٰذه صفة لـ«أزواج»؛ فأزواج النبي ﷺ أمهات لنا في الإكرام والاحترام والصلة؛ قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٦]؛ فنحن نتولاهن بالنصرة والدفاع عنهن واعتقاد أنهن أفضل أزواج أهل الأرض؛ لأنهن زوجات الرسول ﷺ.

* قوله: «**ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة**»:

لأحاديث وردت في ذٰلك، ولقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [غافر: ٧ ـ ٨]، فقال: ﴿وَأَزۡوَٰجِهِمۡ﴾؛ فأثبت الزوجية لهن بعد دخول الجنة، وهٰذا يدل على أن زوجة الإنسان في الدنيا تكون زوجته في الآخرة إذا كانت من أهل الجنة.

* * *

* قوله: «**خصوصاً خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده**»:

* «**خصوصاً خديجة رضي الله عنها**»: «**خصوصاً**»: مصدر

محذوف العامل؛ أي: أخص خصوصاً.

* «**خديجة**» بنت خويلد: تزوجها النبي ﷺ أول ما تزوج، وكان عمره حينذاك خمساً وعشرين سنة، وعمرها أربعين سنة، وكانت امرأة عاقلة، وانتفع بها ﷺ انتفاعاً كثيراً؛ لأنها امرأة ذات عقل وذكاء، ولم يتزوج عليها أحداً.

* فكانت كما قال المؤلف: «**أم أكثر أولاده**»: البنين والبنات، ولم يقل المؤلف: أم أولاده؛ لأن من أولاده من ليس منها، وهو إبراهيم؛ فإنه كان من مارية القبطية.

وأولاده الذين من خديجة هم ابنان وأربع بنات: القاسم، ثم عبد الله، ويقال له: الطيب، والطاهر. وأما البنات؛ فهن: زينب، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية. وأكبر أولاده القاسم، وأكبر بناته زينب.

* قوله: «**وأول من آمن به وعاضده على أمره**»: لا شك أنها أول من آمن به؛ لأن النبي ﷺ لما جاءها وأخبرها بما رأى في غار حراء؛ قالت: كلا؛ والله لا يخزيك الله أبداً. وآمنت به، وذهبت به إلى ورقة بن نوفل، وقصت عليه الخبر، وقال له: إن هٰذا الناموس الذي كان ينزل على موسى[1].

«الناموس»: أي: صاحب السر.

فآمن به ورقة.

---

(١) رواه: البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠)؛ عن عائشة رضي الله عنها.

ولهٰذا نقول: أول من آمن به من النساء خديجة، ومن الرجال ورقة بن نوفل.

* قوله: «**وعاضده على أمره**»؛ أي: ساعده، ومن تدبر السيرة؛ وجد لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها من معاضدة النبي ﷺ ما لم يحصل لغيرها من نسائه.

* قوله: «**وكان لها منه المنزلة العالية**»: حتى إنه كان يذكرها بعد موتها صلوات الله وسلامه عليه، ويرسل بالشيء إلى صديقاتها، ويقول: «إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد»[1]؛ فكان يثني عليها، وهٰذا يدل على عظم منزلتها عند الرسول ﷺ.

* قوله: «**والصديقة بنت الصديق رضي الله عنها**»:

أما كونها صديقة؛ فلكمال تصديقها لرسول الله ﷺ، ولكمال صدقها في معاملته، وصبرها على ما حصل من الأذى في قصة الإفك، ويدلك على صدقها وصدق إيمانها بالله أنه لما نزلت براءتها؛ قالت: إني لا أحمد غير الله. وهٰذا يدل على كمال إيمانها وصدقها.

وأما كونها بنت الصديق؛ فكذٰلك أيضاً؛ فإن أباها رضي الله عنه هو الصديق في هٰذه الأمة، بل صديق الأمم كلها؛ لأن هٰذه الأمة أفضل الأمم؛ فإذا كان صديق هٰذه الأمة؛ فهو صديق غيرها من الأمم.

---

(١) رواه: البخاري (٣٨١٨)، عن عائشة رضي الله عنها.

* قوله: «**التي قال فيها النبي ﷺ: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»**».

* قوله: «**على النساء**»: ظاهره العموم؛ أي: على جميع النساء. وقيل: إن المراد: فضل عائشة على النساء؛ أي: من أزواجه اللاتي على قيد الحياة؛ فلا تدخل في ذٰلك خديجة.

* لكن ظاهر الحديث العموم؛ لأن الرسول ﷺ قال: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»، وقد أخرجه الشيخان[1] بدون ذكر خديجة. وهٰذا يدل على أنها أفضل النساء مطلقاً.

* ولٰكن ليست أفضل من فاطمة باعتبار النسب؛ لأن فاطمة بلا شك أشرف من عائشة نسباً.

وأما منزلة؛ فإن عائشة رضي الله عنها لها من الفضائل العظيمة ما لم يدركه أحد غيرها من النساء.

* وظاهر كلام المؤلف رحمه الله أن هاتين الزوجين رضي الله عنهما في منزلة واحدة؛ لأنه قال: «خصوصاً خديجة... والصديقة»، ولم يقل: ثم الصديقة.

* والعلماء اختلفوا في هٰذه المسألة:

---

(١) رواه: البخاري (٣٧٦٩)، ومسلم (٢٤٣١)؛ عن أبي موسى الأشعري. وزيادة خديجه عزاها الحافظ في الفتح (٦/ ٤٤٧) للطبراني وأبي نعيم في «الحلية».